بسم الله الرحمن الرحيم

تحولات مفصلية نحو بلورة نظام دولي جديد

(أي قطبية تصلح لهذا النظام ؟)

الحلقة ٦٣

الرفيق الدكتور أبو الحكم

المقدمة :

للدول في سياساتها الخارجية خيارات .. ومن تخلو سياساتها من خيارات ، تضع نفسها في قفص اللاخيار وهو في حقيقته طريق مسدود يؤدي إما إلى الانتحار أو الرضوخ .!!

- حدود التقارب التركي– الإيراني .. ومقاربات السياسة :
- حدود التقارب التركي– الروسي .. ومقاربات سياسة التوازن :
- إيران وسياسة اللعب على التناقضات :
- اضطراب المنظمة الدولية هو انعكاس لاضطراب العلاقات الدولية .. مفهوم التوازن والإصلاح في بنية النظام الدولي :

١- حدود التقارب التركي – الإيراني ومقاربات السياسة :

من الصعوبة الاحتكام إلى منطق الأيديولوجيا في مسائل التقارب بين العاصمتين ، ولكن من السهولة أن يحصل مثل هذا التقارب على وفق منطق السياسة التي تأخذ شكل البراغماتية من جهة والمصلحة المشتركة من جهة ثانية .. وخاصة مسألة تمس ما يسمى بالأمن القومي لكل من تركيا وإيران ، والتي تتمحور حول الورقة الكردية التي لم تعد ضاغطة بالمعنى السياسي– الأمني لكل منهما ، بل بالقدر الذي يتهدد فيه أمنهما القومي .. وهذه مسألة تظل تؤرق صناع القرار الإقليمي وتفتح شهية الدول الكبرى والإقليمية من أجل إبقاء المسألة ورقة ضاغطة تتعاطى السياسة والتلويح بالفعل العسكري ، وتقع في مقدمتها الكيان الصهيوني ، الذي يتولى هدف

تفتيت دول المنطقة وزعزعة استقرارها .. وإيران ، التي تتولى هدف تقسيم دول المنطقة وزعزعة استقرارها .. وأمريكا ، التي تتولى هدف تفكيك الشرق الأوسط وإعادة تشكيله جيو – سياسيًا على قاعدة منع وصول نفوذ دول الصراع إلى مناطق نفوذها وبالتالي كبح جماح أي مساعي أو قدرات من شأنها أن تبلور عناصر أو مقومات لقطبية مناهضة أو في طريقها لتجميع عناصر قوتها كما تفعله موسكو وبكين بطريقة أو أخرى .. فالكيان الصهيوني يلعب بنار الأقليات الأثنية والمذهبية ، وإيران تلعب بنيران المذهبية والأثنية في آن واحد .. فهما أداتان أساسيتان تنفذان الاستراتيجية الكبرى للشرق الأوسط الكبير .

إذن .. حدود التقارب التركي الإيراني هو في حقيقته ليس تقاربًا (أيديولوجيًا) ، إنما تقاربًا (سياسيًا) ذي بُعد براغماتي مغطى بسياسة أسمتها طهران (مجابهة المخاطر المشتركة) .. فيما يلوح الكيان الصهيوني وأمريكا بكيان كردي جديد يبرز بين ظهراني سوريا وتركيا وإيران والعراق .. وهذا التلويح هو في مظهره تكريس للأمر الواقع من جهة ، وخلط الأوراق وارغام السياسات على التداخل .. لأن مثل هذا الكيان صعب التحقق ، لأنه يعني تمزيق جغرافيات سياسية لأربع دول أولاً ، ولأنه قد يدفع نحو حرب إقليمية لا أحد يتكهن بنتائجها .. وهذا لا يخدم مصالح الغرب

الأمريكي بحال ، ولا يخدم موسكو ولا بكين ، إنما يخدم مصالح الكيان الصهيوني .. هذه المسألة تحل ذاتيًا وثنائيًا وفي إطار سيادي .

فيما يعكس الوجه الآخر لحالة التماس التي تعكسها حركة السياسة – الاستراتيجية للدولة التركية ، والتي تظهر بصيغة تقابل متوازن أو كابح للتمدد الإيراني في المنطقة .. وهذا سنبحثه في فقرة لاحقة .

٢– حدود التقارب التركي– الروسي .. ومقاربات سياسة التوازن :

لأول مرة ، وخارج إطار حلف شمال الأطلسي (الناتو) ، تتسلح تركيا دفاعيًا بمنظومة صواريخ روسية متطورة (S– 400) المضادة للجو (وتتضمن مجموعات المعدات التقنية ومحطات رادارات حرارية بأبعاد مختلفة وتحويرات للصيانة) .. وعقد التسلح التركي هذا يثير قلق الـ(ناتو) ، لأنه يتعارض ، حسب زعم خبرائه ، مع طبيعة تسليح أعضاء الناتو وعقيدتهم القتالية .. فيما تعلن تركيا أنها حرة في اختيار دفاعاتها .. وهذا يدعو إلى التساؤل :

١– هل يشكل عقد التسلح بين انقرة وموسكو (طلاقًا) استراتيجيًا أو طلاقًا سياسيًا ؟!

٢- لماذا تتجه أنقرة إلى موسكو ؟ ، هل أن ضغوط الناتو ودوافع واشنطن المراوغة ، قد أرغمت أنقرة على هذا التوجه ؟

٣- من هو الخاسر الأكبر في مسألة التوازن الاستراتيجي ؟ ، وهل أن (الناتو) على أعتاب خسارة أكبر قوة (أورآسيوية) ، وهي تركيا ؟

- العلاقات الروسية – الأطلسية يشوبها التوتر منذ أن ضمت موسكو شبه جزيرة القرم في عام ٢٠١٤ ، وقدمت الدعم للانفصاليين في أوكرانيا .

- والعلاقات التركية – الأمريكية يشوبها التوتر أيضا لسببين :

الأول – السياسة الأمريكية لا تعير إهتمامًا للأمن القومي التركي – حيال الكرد في شمال سوريا على وجه التحديد ، والمسألة الكردية بصورة عامة ، التي تعتبرها تركيا تهدد أمنها القومي .. وتركيا عضو في حلف شمال الأطلسي .!!

الثاني- تعرض تركيا لتدخل أمريكي من خلال " فتح الله غولان " المعارض ذو المنهج (الموازي) على مستوى تنظيم هيكل الدولة وكذا مستوى المؤسسة العسكرية التركية ، واحتضان واشنطن له وعدم تسليمه إلى أنقرة رغم ثبوت إدانته بمحاولة تغيير نظام الحكم بالقوة المسلحة تحت صمت أمريكي .!!

– فتركيا تعلن أنها تحتاج الى تطوير (دفاعاتها) الجوية .. لأن الناتو سحب من أراضيها منظومة راداراته الاستراتيجية قبل بضع سنوات .. وانسحبت قوات ألمانية من قواعد عسكرية فعالة في تركيا قبل انعقاد مؤتمر الناتو المقرر في تركيا عام ٢٠١٨ .. وأقفت ألمانيا صفقات سلاح لتركيا .. وأفشلت ضغوط أمريكا توجه تركيا نحو الصين .

– الخطوة التركية صوب موسكو ، التي شعر الغرب حيالها بالقلق ، وخاصة التي تعكس تعاونًا عسكريًا وتسلحًا يلامس بناء القدرات العسكرية التركية .. هي في حقيقتها خطوة مستقلة ، قد تضع (الناتو) أمام إعادة النظر بتسليح تركيا وتعاونه العسكري معها تحت ذريعة – احتمال تسرب معلومات حيوية تسليحية للناتو إلى موسكو – على الرغم من إدراك الغرب (الناتو) أن الخطر الجوهري يكمن في فلسفة (بناء الدفاعات) التركية وليس في المعنى السياسي لتحول أنقرة نحو موسكو ، لأن مثل هذا الدفاع يتعارض مع طبيعة تسلح أعضاء الناتو .. في الوقت الذي تشعر تركيا بخيبة أملها من الناتو لعدم وقوفه معها في مشكلاتها مع روسيا عام ٢٠١٥ من جهة وسحب الناتو أنظمة صواريخ (باتريوت) الدفاعية من الأراضي التركية .

– ومع ذلك ، فأن التقارب بين أنقرة وموسكو ليس بديلاً عن التحالف التركي – الغربي ، إنما هو نقلة تركية استراتيجية لتحقيق التوازن في علاقات تركيا الخارجية ، (تقارب) وليس (تحالف) ، يتم في إطار الـ(Geo–Politics) ، فيما تدخل خطوط الطاقة الدولية (السيل) وتأسيس مشروع الطاقة النووية السلمية في تركيا ضمن نطاق الـ (Geo–Economy) .. وهو الأمر الذي يضع تركيا في سياق (الانتشار) الاستراتيجي حيال التهميش الأوربي وأنماط الضغوط التي تعرضت لها والعقوبات التي وضعت في طريق انتمائها إلى الاتحاد الأوربي ، وهي عضو في حلف شمال الأطلسي (الناتو) ، ومحاولات المشاركة في تفكيكها على أساس الخط الموازي ، وفشل الانقلاب في ذلك .. وجدت تركيا نفسها أمام ضرورة إعادة النظر في (سياستها) الاستراتيجية من أجل :

أولاً– إيجاد صيغة التوازن (الدفاعي) .

ثانيًا– تنمية القدرات العسكرية التركية وتمكينها من الانتشار الاستراتيجي في خارج حدودها الإقليمية .. وتعكس النقلة الأولى – تأسيس قاعدة عسكرية تركية في قطر ، والنقلة الثانية – تأسيس قاعدة عسكرية تركية في الصومال .. وهما نقلتان استراتيجيتان عسكريتان ، لا علاقة لهما بالتقارب من موسكو ، إنما ترتبطان بدافع

التوازن حيال التمدد الجيو– سياسي الإيراني في المنطقة ، وخاصة عند مداخل المضائق والخلجان ، كالخليج العربي والبحر العربي ومضيق باب المندب ، وذهاب السفن الإيرانية الحربية عبر البحر الأحمر إلى البحر المتوسط ، وإعلان طهران عن نيتها تأسيس موانئ وقواعد عسكرية إيرانية على سواحل البحر المتوسط .

٣– إيران وسياسة اللعب على التناقضات :

من أهم السمات الأساسية للسياسة الإيرانية هي اللعب على التناقضات ، أينما وجدت طهران مصلحة لها لتوظيفها ، تسللت إليها وتوغلت فيها ونسجت خيوط علاقاتها مع طرف ضد طرف آخر ، وأحيانًا مع طرفين متضادين أو متصارعين في آن واحد ، مثلاً : تتعامل طهران مع حزب العمال الكردي – التركي (PKK) وتتعامل مع الأكراد السوريين ، فيما تتعامل مع حكومة أنقرة بكل سلاسة ودفئ في الوقت ذاته .. وتتعامل مع أكراد حزب جلال الطالباني بالضد من أكراد مسعود البرزاني .. وتعمل مع القاعدة وعناصرها الإرهابية وفي الوقت نفسه تتعامل طهران مع حكومة كابل .. تتعامل طهران وتعلن أنها ضد الإرهاب وفي الوقت ذاته تؤمن لقيادات (داعش) المهزومة في سوريا سبل النجاة والملاذ الآمن في العراق .. تتعامل طهران مع أمريكا (توافقًا – استراتيجيًا) وتهاجمها إعلاميًا ليل نهار ..

تتعامل إيران مع الكيان الصهيوني إعلاميًا فضائيًا وشركات هذا الكيان لها مكانتها التجارية في الاقتصاد الإيراني وفي الوقت نفسه ترفع إيران شعار (الموت لإسرائيل الموت لأمريكا) .. تتعامل طهران مع دول الاتحاد الأوربي على أنها حمامة سلام وتأمر أتباعها وخلاياها النائمة في أوربا على أعمال الإرهاب والدهس الجمعي والتفجيرات بهدف إرغام حكومات أوربا على تغيير سياساتها العدوانية في سوريا والعراق ولبنان واليمن والإبقاء على ملفها النووي .. والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى .. فأي دولة هذه التي يقودها ولي الفقيه وتتمتع بالصدقية ووضوح الموقف ووضوح الأهداف .؟!

النظام الإيراني لا يستطيع أن يعيش بدون هذا السلوك المزعزع لأمن واستقرار دول المنطقة والعالم .. فهو يجري وراء أماكن التخلخل والاضطرابات وفقدان الأمن (فراغات الأمن) ليقوم بأفعال التسلل والتغلغل من أجل الهيمنة .!!

- اضطراب المنظمة الدولية هو انعكاس لاضطراب العلاقات الدولية .. مفهوم التوازن والاصلاح في بنية النظام الدولي :

يتبع ...

١ / ١٠ / ٢٠١٧

كتّاب الشبكة صفحة الكاتب أبو الحكم فرسان البعث العظيم